**المحاضرة الثالثة**

**فلسفة الفلك ج1**

**مقدمة:**

لا مراء في أن الكون يعتبر من بين أعمق وأعقد القضايا التي شغلت الفكر العلمي والفلسفي على حد سواء،وهو ما أعاد الاعتبار لجدلية العلاقة بين العلم والفلسفة ،حيث يعتبر الكون بتعبير بول ديفيز في كتابه "الله والفيزياء الجديدة" 'هو كل شيء فيزيائي موجود أي المادة الموزعة بين المجرات وكل أنواع الطاقة ،وكل الأشياء اللامادية مثل الثقوب السوداء وأمواج الجاذبية وكل الفضاء حيثما يمتد إلى مالا نهاية' ،وانطلاقا من اختلاف التصورات حول طبيعة الكون وكيفية نشوئه تبلورت مختلف المشكلات الابستمية والعلمية حوله،واختلفت معها النظريات العلمية والمقاربات الفلسفية:فما هو الكون؟وكيف تكونت الأشياء وكيف تنتهي؟وما المصير النهائي لهذه الكون الذي نعيش فيه؟هل الكون في حالة تمدد أو تقلص؟هل يقوم على الفوضى أم النظام؟

**أولا:الكون في الفكر القديم:**

تعود مختلف التصورات القديمة للكون بشكل أساسي للتصور اليوناني وملامحه الفلسفية ،حيث تراوحت هذه التصورات بين النزعات المادية أو الطبيعية أو اللاأدرية ،مع امتزاجها بالأساطير الوثنية والخرافية ،والتي كانت تفترض وجود توافق إلهي بين الكائن الإلهي وبين المادة وبين تلك التي تتصور الكون بالتصور الحيوي على أنه كائن حي موجود منذ الأزل،وهو خاضع إلى عقل يسيره وفق نظام صارم ،مثلما نجده في التصور الأرسطي وهكذا.

إلا أن محاولات الفلاسفة اليونان الإجابة عن أصل الكون أو طبيعة المادة التي خلق منها،كانت نقطة بداية التفكير الفلسفي والعلمي خاصة مع تراث الفلاسفة الطبيعين والحكماء السبع التي كان لها أثرها على الفكر المعاصر خاصة مع هيراقليطس الذي اعتبر أن العالم مكون من نار ،وهو الشيء الذي اعتبره هايزنبرغ مشابه لمقولة الطاقة ،فالطاقة حسبه هي الجوهر الذي خلقت منه الأشياء كلها.

**ثانيا:الكون في التصور الديني:**

تقوم هذه التصورات على فكرة الخلق من العدم،فالله باعتباره فاعلا ربانيا ومباشرا في خلق الكون وفي حركته ومصيره يصبح وجوده ضروريا في وجود هذا الكون،وهذا ما قصده أوغسطين في قوله"أنت خلقت شيئا ...وهذا الشيء من لاشيء...أنت صنعت السماء والأرض وليس من ذاتك وإنما أنت السبب فيهما..ومن خلال ذلك يتوازنان معك".

ووفق نظرية الخلق ،فإن الخالق يتميز بكونه أبديا مقارنة مع الشيء المخلوق ،كما أن هذا الكون الفيزيقي ليس كاملا في ذاته ولا يستطيع أن يفسر ذاته ووجوده بنفسه،لذا فهو بحاجة إلى شيء آخر خارجه يمكّن من فهمه وهي القوة الإلهية.

**ثالثا:الكون في التصورات الحديثة:**

مع إطلالة هذه العصور بدأ تفسير الكون ينزلق بعيدا عن التصورات الخرافية و كذا الدينية وبدأ يعانق التصورات العلمية ويمازجها،فمع تطور العلم امتلك الانسان منهجا فعالا يمكنه من تفسير الكون وفهم قوانينه باعتباره جزءا منه ينتمي إليه ويخضع لنفس قوانينه ويرتبط مصيره به.

يعتبر كوبرنيك أول من أحدث انقلابا على التصورات القديمة خاصة الدينية منها ،حيث قدم حججا علمية لخصها في كون الأرض متحركة وليسا ثابتة وبالتالي فهي ليست مركز الكون ،وإنما الشمس هي المركز والأرض تدور حولها ،إذ يقول"لماذا نتردد إذن في اعتبار الأرض متحركة وهو الشيء الذي يلائم شكلها الكروي،بدلا من اعتبار الكون الذي لا نعرف حدوده ولا يمكن معرفته في حالة دوران".

تميزت المرحلة الحديثة بسيطرة التصور الميكانيكي مع كل من غاليلي ونيوتن ،حيث أن كل شيء في الطبيعة خاضع لقانون الحركة الذي وضعه نيوتن،:فمن خواص الأجسام التمدد والحركة بقوانينها المختلفة،وبهذا انتشر التفسير الميكانيكي باعتباره النموذج الذي وضعته العلوم الفيزيائي وأصبح النموذج المستخدم في كل العلوم.

ولقد تم اعتبار قوانين نيوتن هي الأكثر ملاءمة في تفسير الكون ،وأخذت على أنها قوانين صحيحة ونهائية في تفسير حركات الكواكب،باعتبار أن الطبيعة نظام قائم في ذاته يعمل وفق سببية آلية لا مكان للغايات فيها،ومن هنا ظهر مفهوم الكون الآلة الذي يعتبر من بين المسلمات الفلسفية التي يؤمن بها نيوتن،فالكون آلة ضخمة خاضعة لقوانين ثابتة من وضع الخالق.

لكن هذا التفسير أخفق في السيطرة على تفسير كل الظواهر وهو الأمر الذي عجل بظهور علوم جديدة انهارت معها فيزياء نيوتن وانهار معها الإطار الابستمولوجي الذي كان يعمل على تفسير هذا الكون وحركاته وظواهره.

**رابعا:الكون في التصورات الكوسمولوجية المعاصرة:**

أصبح الاهتمام في هذه الكوسمولوجيا على التصورات العلمية الدقيقة لمفهوم الفضاء والزمان والمكان وكذا الظواهر الكونية المختلفة والعلاقات الرياضية القائمة بينها وهذا ما تجسد فعليا في نظرية النسبية الخاصة والعامة ،هذه الأخيرة التي اهتمت بعدة مشكلات مرتبطة بالكون مثل الامتداد ومصير الكون وتضخمه على ضوء المفاهيم الفيزيائية القائمة على المادة والطاقة،وهو ما أدى إلى ظهور العديد من المشكلات المحورية في فلسفة الفلك طغت على النقاشات العلمية والفلسفية على حد سواء.

**المراجع**

**-عبد العزيز بوالشعير:مقالات في الدرس الايستمولوجي:مساءلات فلسفية في العالمين الصغري والكبري:منشورات الاختلاف،2016.**

**-بريان غرين:الكون الأنيق،تر:عبد الحليم منصور،ط1، 2005.**

**-نجيب محمود زينب:الكون العظيم،ط1، دار المعادي،لبنان،2005.**